القول في الاستعاذة

وفيها اثنتا عَشرةَ مسألة:

الأولى: أمَرَ اللهُ تعالى بالاستعاذة عند أوَّل كلِّ قراءة، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ١٦]، أي: إذا أردتَ أن تقرأ. فأوقعَ الماضيَ موقعَ[(١)] المستقبَل، كما قال الشاعر[(٢)]:

وإنِّي لآتِيكُم لِذِكرِي الذي مَضَى ... من الوُدِّ واستئنافِ ما كانَ في غَدِ

أراد: ما يكون في غدٍ.

وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، وأنَّ كلَّ فعلَين تقاربا في المعنى، جازَ تقديمُ أيِّهما شئتَ، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]. المعنى: فتدلَّى، ثم دنا. ومثلُه: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وهو كثير.

الثانية: هذا الأمرُ على النَّدب في قول الجُمهور في كلِّ قراءة في غير الصلاة. واختلفوا فيه في الصلاة. حكى النَّقَّاشُ عن عطاء أنَّ الاستعاذةَ واجبةٌ، وكان ابنُ سِيرينَ والنَّخَعِيُّ وقومٌ يتعوَّذون في الصلاة في[(٣)] كلِّ ركعة، ويمتثلُون أمرَ الله في الاستعاذة على العموم، وأبو حنيفةَ والشافعيُّ يتعوَّذانِ في الركعة الأولى من الصلاة، ويَرَيانِ قراءةَ الصلاة كلَّها كقراءة واحدة، ومالكٌ لا يرى التعوُّذَ في الصلاة المفروضة، ويراه في قيام رمضان[(٤)].

الثالثة: أجمع العلماءُ على أنَّ التعوُّذَ ليس من القرآن، ولا آيةً منه، وهو قولُ القارىء: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». وهذا اللفظُ هو الذي عليه الجمهورُ من

---

(١) في (ظ): موضع.

(٢) هو الطِّرِمَّاح بنُ حكيم، من طيِّىء، ويكنى أبا نَفْر، والبيت في ديوانه ص٥٧٢ بلفظ:

فإني لآتيكم تَشَكُّرَ ما مضى ... من البرِّ واستيجابَ ما كان في غدِ

وهو في الخصائص ٣/ ٣٣١، وأمالي ابن الشَجري ١/ ٦٧ و٢/ ٤٥٣.

(٣) ليست في (م).

(٤) من قوله: وكان ابن سيرين ... من تفسير ابن عطية ١/ ٥٨، وجاء فيه بعده قوله: ولم يُحفظ عن النبي ﷺ أنه تعوَّذ في صلاة.

العلماء في التعوُّذ، لأنه لفظُ كتاب الله تعالى. ورُوِيَ عن ابن مسعود أنه قال: قلتُ: أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ من الشيطانِ الرجيم، فقال لي النبيُّ ﷺ: «يا ابنَ أُمِّ عَبد، أعوذُ[١] بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرأني جبريلُ عن اللَّوح المحفوظ عن القلم»[٢].

الرابعة: روى أبو داود وابنُ ماجه في «سُننهما» عن جُبَير بنِ مُطعِم أنه رأى رسولَ الله ﷺ يصلِّي صلاةً ـ قال[٣] عمرو[٤]: لا أدري أيَّ صلاة هي ـ فقال: «اللهُ أكبرُ كبيراً، اللهُ أكبرُ كبيراً، الله أكبرُ كبيراً، والحمدُ لله كثيراً، الحمدُ لله كثيراً ـ ثلاثاً ـ وسبحان اللهِ بُكرةً وأصيلاً ـ ثلاثاً ـ أعوذ بالله من الشيطان[٥] مِن نَفْخِه ونَفْثِه وهَمْزِه» قال عمرو: هَمزُه: المُوْتَةُ، ونَفْثُه: الشِّعرُ، ونَفْخُه: الكِبرُ[٦]. وقال ابن ماجه: المُوْتَةُ: يعني الجنون. والنَّفْثُ[٧]: نَفْخُ الرجل مِن فيه من غير أن يُخرِجَ رِيقَه. والكِبْرُ: التِّيه.

وروى أبو داود عن أبي سعيد الخُدْري قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا قام من الليل، كبَّر، ثم قال[٨]: «سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، تباركَ اسمُكَ، وتعالى جَدُّك، ولا إلهَ غيرُك». ثم يقول: «لا إلهَ إلا اللهُ» ثلاثاً، ثم يقول: «اللهُ أكبرُ كبيراً ـ ثلاثاً ـ أعوذُ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من هَمْزِه ونَفْخِه ونَفْثِه». ثم يقرأُ[٩].

وروى سليمانُ بنُ سالم[١٠] عن ابن القاسم رحمه الله أنَّ الاستعاذَة: أعوذُ بالله

---

(١) في (ظ): قل أعوذ.

(٢) ذكره صاحب روح المعاني ١٤/٢٢٨ ونسبه للثعلبي والواحدي.

(٣) في (م): فقال.

(٤) هو عمرو بن مرة، أحد رجال الإسناد.

(٥) في (ز): الشيطان الرجيم.

(٦) سنن أبي داود (٧٦٤)، وسنن ابن ماجه (٨٠٧)، وهو في مسند أحمد (١٦٧٨٤).

(٧) في النسخ الخطية: كل مانفخ، والمثبت من (م).

(٨) في (م): يقول.

(٩) سنن أبي داود (٧٧٥)، وهو في مسند أحمد (١١٤٧٣).

(١٠) أبو الربيع القاضي المعروف بابن الكحالة، من أصحاب سحنون. مات سنة (٢٨١هـ). الديباج المذهب ١/ ٣٧٤.

العظيمِ من الشيطان الرجيم، إنَّ اللهَ هو السميعُ العليم، بسم الله الرحمن الرحيم.

قال ابن عطيَّة[١]: وأما المقرئون، فأكثَروا في هذا من تبديل الصفةِ في اسم الله تعالى وفي الجهة الأخرى، كقول بعضِهم: أعوذُ بالله المجيدِ من الشيطان المَريدِ، ونحوِ هذا مما لا أقولُ فيه: نِعْمتِ البِدْعةُ، ولا أقول: إنه لا يجوزُ.

الخامسة: قال المَهدَوِيُّ: أجمعَ القُرَّاءُ على إظهار الاستعاذةِ في أوَّل قراءة سورة «الحمد» إلا حمزةَ، فإنه أَسَرَّها.

وروى المسيَّبي[٢] عن أهل المدينة، أنهم كانوا يفتتحون القراءةَ بالبسملة[٣].

وذكر أبو اللَّيث السمرقندي[٤] عن بعض المفسرين، أنَّ التعوُّذَ فرضٌ، فإذا نَسِيَهُ القارئُ، وذَكَره في بعض الحِزْبِ، قَطَعَ وتعوَّذَ، ثم ابتدأ من أوَّله.

وبعضُهم يقول: يستعيذُ، ثم يَرجِعُ إلى موضعه الذي وقف فيه. وبالأوَّل قال أسانيدُ الحجاز والعراق، وبالثاني قال أسانيدُ الشام ومصر.

السادسة: حكى الزَّهراويُّ[٥] قال: نزلت الآيةُ في الصلاة، ونُدِبنا إلى الاستعاذة في غير الصلاة، وليس بفرض. قال غيرُه: كانت فرضاً على النبيِّ ﷺ وحدَه، ثم تأسَّينا به[٦].

السابعة: رُوِيَ عن أبي هريرةَ أنَّ الاستعاذةَ بعد القراءة، وقاله داودُ[٧]. قال

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٥٨.

(٢) تحرف في (م) إلى: السدي، والمشهورُ بهذه النسبة (المسيَّبي) الإمام أبو محمد إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن المسيَّبي، المدني المقرىء، وابنُه محمد بن إسحاق. أما أبو محمد، فقد قرأ على نافع، وهو من جِلّة أصحابه المحققين، وتوفي سنة (٢٠٦هـ). وأما محمد، فقد قرأ على والده، وتوفي سنة (٢٣٦هـ). معرفة القراء الكبار ١/ ٣١٢ و ٤٣٠.

(٣) من قوله: قال المهدوي ... من تفسير ابن عطية ١/ ٥٩.

(٤) هو نصر بن محمد بن إبراهيم الحنفي، الفقيه المحدِّث، صاحب التفسير، وتنبيه الغافلين. توفي سنة (٣٧٥هـ). سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢٢.

(٥) هو محدِّث الأندلس مع ابن عبد البر، أبو حفص عمر بن عُبيد الله بن يوسف القرطبي، توفي سنة (٤٥٤هـ). سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢١٩.

(٦) ينظر المحرر الوجيز١/ ٥٨.

(٧) ابن علي بن خلف، أبو سليمان، البغدادي، رئيس أهل الظاهر، الحافظ، صاحب التصانيف كالإيضاح، والإفصاح، مات سنة (٢٧٠هـ). سير أعلام النبلاء ١٣/ ٩٧.

القاضي أبو بكر بنُ العربيِّ: انتهى العِيُّ[١] بقوم إلى أن قالوا: إذا فَرَغَ القارئُ من قراءة القرآن، يستعيذُ بالله من الشيطان الرجيم. وقد روى أبو سعيد الخُدرِيُّ، أنَّ النبيَّ ﷺ كان يتعوَّذُ في صلاته قبل القراءة[٢]. وهذا نصٌّ. فإن قيل: فما الفائدةُ في الاستعاذة من الشيطان الرجيم[٣] وقتَ القراءة؟ قلنا: فائدتُها امتثالُ الأمر. وليس للشَّرعيَّات[٤] فائدةٌ إلا القيامُ بحقِّ الوفاء لها، في امتثالها أمراً، أو اجتنابها نَهياً. وقد قيل: فائدتُها امتثالُ الأمر بالاستعاذة من وسوسة الشيطان عند القراءة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢].

الثامنة[٥]: قال ابنُ العربي: ومِن أغربِ ما وجدناه قولُ مالك في «المجموعة» في تفسير هذه الآيةِ: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، قال: ذلك بعد قراءةِ أُمِّ القرآن لمن قرأ في الصلاة. وهذا قولٌ لم يَرِد به أثرٌ، ولا يَعضُدُه نَظَرٌ. فإن كان هذا كما قال بعضُ الناس: إنَّ الاستعاذةَ بعد القراءة، كان تخصيصُ ذلك بقراءة أُمِّ القرآن في الصلاة دعوى عريضة، ولا تُشبهُ أصلَ مالك، ولا فَهمَه، فالله أعلمُ بسرِّ هذه الروايةِ[٦].

التاسعة[٧]: في فَضلِ التعوُّذِ: روى مسلمٌ عن سليمانَ بن صُرَد[٨] قال: استَبَّ رجلان عند النبيِّ ﷺ، فجعلَ أحدُهما يغضَبُ، ويحمَرُّ وجهُه، وتَنتَفِخُ أوداجُه، فنظر إليه النبيُّ ﷺ، فقال: «إني أَعلَمُ كلمة لو قالها، لَذَهَبَ ذا عنه: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم». فقام إلى الرجلِ رجلٌ ممن سَمِعَ النبيَّ ﷺ، فقال: هل تدري ما قال

---

(١) في النسخ الخطية: الغي، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في أحكام القرآن لابن العربي.

(٢) سلف تخريجه في المسألة الرابعة.

(٣) كلمة الرجيم، ليست في (ز).

(٤) في (د): لشرع، وفي (ز): بشرع، وليست هي في (ظ)، والمثبت من (م)، وهو موافق لكتاب ابن العربي.

(٥) ليست في (م).

(٦) أحكام القرآن ٣/ ١١٦٣ و ١١٦٤.

(٧) في (م): الثامنة.

(٨) هو أبو مطرف الخزاعي الكوفي، صحابي، شهد صفّين مع علي رضي الله عنه، استشهد سنة (٦٥هـ). سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٥.

رسولُ الله ﷺ آنفاً؟ قال: «إني لأَعلَمُ كلمةً لو قالها، لَذَهَبَ ذا عنه: أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم». فقال له الرجلُ: أمجنوناً تراني ؟! أخرجه البخاريُّ أيضاً[١].

وروى مسلمٌ أيضاً عن عثمانَ بنِ أبي العاص الثقفيِّ أنه أتى النبيَّ ﷺ، فقال: يارسولَ الله، إنَّ الشيطانَ قد حالَ بيني وبين صلاتي وقراءتي[٢]، يَلبِسُها عليَّ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «ذاك شيطانٌ يُقال له خِنزَب، فإذا أَحسَستَه، فتعوَّذ بالله منه، واتفُل عن يسارك ثلاثا». قال: ففعلتُ، فأذهَبَه الله عني[٣].

وروى أبو داود عن ابن عمرَ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا سافر فأقبل عليه اللَّيلُ، قال: «يا أرضُ، ربِّي وربُّكِ اللهُ، أعوذُ بالله من شَرِّك، ومن شَرِّ ما خُلِقَ فيك، ومِن شَرِّ ما يَدِبُّ عليك، ومن[٤] أسد وأَسودَ، ومن الحيَّةِ والعَقرب، ومن ساكِني[٥] البلد، ووالِد وما وَلَدَ»[٦].

ورَوَت خَولَةُ بنتُ حَكيم[٧] قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن نَزَلَ مَنزِلاً، ثم قال: أعوذُ بكلماتِ الله التامَّاتِ من شرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّه شيءٌ حتى يَرتَحِلَ». أخرجه المُوَطَّأ ومسلمٌ والترمذيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ[٨].

وما يُتَعوَّذُ منه كثيرٌ في الأخبار، واللهُ المستعانُ.

العاشرة[٩]: معنى الاستعاذةِ في كلام العرب: الاستجارةُ، والتَّحَيُّزُ إلى الشيء، على معنى الامتناعِ به من المكروه[١٠]. يقال: عُذتُ بفلان، واستعذتُ به، أي:

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٨٢)، وصحيح مسلم (٢٦١٠)، وهو في مسند أحمد (٢٧٢٠٥).

(٢) في النسخ الخطية: وقد أتى، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٠٣)، وهو في مسند أحمد (١٧٨٩٧).

(٤) في (د) و(ز): وأعوذ بك من.

(٥) في (ظ): ساكن.

(٦) سنن أبي داود (٢٦٠٣)، وهو في مسند أحمد (٦١٦١).

(٧) السُّلَميَّة، ويقال لها: خُويلة، بالتصغير، ويقال: كنيتها أم شريك، وكانت وهبت نفسها للنبي ﷺ، وكان عثمان بن مظعون مات عنها. الإصابة ١٢/ ٢٣٣.

(٨) الموطأ ٢/ ٩٧٨، وصحيح مسلم (٢٧٠٨)، وسنن الترمذي (٣٤٣٧).

(٩) في (م): التاسعة.

(١٠) المحرر الوجيز ١/ ٥٨.

لجأتُ إليه. وهو عِياذِي، أي: مَلجَئي. وأعَذتُ غيري به، وعَوَّذتُه، بمعنى، ويقال: عَوذٌ بالله منك، أي: أعوذُ بالله منك. قال الراجز:

قالَت وفيها حَيْدَةٌ وذُعرُ عَوْذٌ بربِّي مِنكُمُ وحُجْرُ

والعربُ تقولُ عند الأمر [تُنكِرُه]: حُجراً له، بالضم، أي: دَفعاً، وهو استعاذةٌ من الأمر[١]. والعُوذَةُ والمَعَاذَةُ والتَّعويذُ، كلُّه بمعنى[٢]. وأصلُ أَعُوذُ: أَعْوُذُ، نُقلت الضمةُ إلى العين لاستثقالها على الواو، فسكنت.

الحادية عشرة[٣]: الشيطانُ: واحدُ الشياطين، على التكسير، والنونُ أصليةٌ، لأنه مِن شَطَنَ: إذا بَعُدَ عن الخير. وشَطَنَتْ دارُه، أي: بَعُدَتْ. قال الشاعر[٤]:

نَأَتْ بِسعادَ عنك نَوًى شَطُونُ فَبانَتْ والفُؤادُ بها رَهِينُ

وبئر شَطُونٌ، أي: بعيدةُ القَعرِ. والشَّطَنُ: الحَبلُ، سُمِّيَ به لِبُعدِ طرفيه وامتدادِه. ووصَفَ أعرابيٌّ فرساً، فقال: كأنه شيطانٌ في أشطان.

وسُمِّيَ الشيطانُ شيطاناً، لِبُعدِهِ عن الحقِّ وتَمرُّدِه. وذلك أنَّ كلَّ عاتٍ مُتَمرِّدٍ من الجنِّ والإنسِ والدوابِّ شيطانٌ. قال جرير[٥]:

أيامَ يَدعونَني الشيطانَ مِن غَزَلي[٦] وهُنَّ يَهْوَينَني إذْ كنتُ شيطانا

وقيل: إنَّ شيطاناً مأخوذٌ من: شاطَ يَشِيطُ: إذا هَلَكَ، فالنون زائدة. وشاطَ: إذا احترقَ. وشَيَّطتُ اللَّحمَ: إذا دَخَّنتَه، ولم تُنضِجْهُ. واشتاط الرجلُ: إذا احتدَّ غضباً. وناقةٌ مِشْياطٌ: التي يَطِيرُ فيها السِّمَنُ. واشتاط: إذا هَلَكَ. قال الأعشى[٧]:

---

(١) الصحاح (عوذ) و(حجر)، وما بين حاصرتين منه، والرجز للحطيئة، كما في الأغاني ٢/ ١٩٧.

(٢) أي: الرُّقيَةُ، يُرقَى بها الإنسانُ من فزع، أو جنون، لأنه يُعاذُ بها. اللسان (عوذ).

(٣) في (م): العاشرة.

(٤) هو النابغة الذُّبياني، والبيت في ديوانه ص ١٢٦.

(٥) ابنُ عطية بن الخَطَفَى، التميمي البصري، جعله ابن سلّام رأس الطبقة الأولى من طبقات الإسلام ٢/ ٢٩٧، مدح خلفاء بني أمية، توفي بعد الفرزدق بشهر سنة (١٠٠هـ). سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٠، والبيت في ديوانه ١/ ١٦٥.

(٦) في (م): غزل.

(٧) هو ميمون بن قيس، والبيت في ديوانه ص ١١٣.

قد نَطعَنُ العَيرَ في مَكنونِ[١] فائِلِهِ وقد يَشِيطُ على أرماحِنا البَطَلُ[٢]

أي: يَهلِكُ.

ويرد على هذه الفِرقة أنَّ سيبويهِ حكى أنَّ العربَ تقول: تَشيطَنَ فلانٌ إذا فعل أفعالَ الشياطين، فهذا بَيِّنٌ أنه تَفَيْعَلَ، مِن: شَطَنَ، ولو كان من شاطَ، لقالوا: تَشَيَّطَ، ويرد عليهم أيضاً بيتُ أُمَيَّةَ بنِ أبي الصَّلت:

أيُّما شاطِنٍ عَصَاه عَكاهُ ورَمَاهُ في السِّجنِ والأغلالِ[٣]

فهذا شاطِنٌ، من شَطَنَ، لا شكَّ فيه[٤].

الثانية عشرة[٥]: الرجيمُ، أي: المُبعَدُ من الخير، المُهان. وأصلُ الرَّجْم: الرَّميُ بالحجارة، وقد رَجَمتُه أَرجُمُهُ، فهو رجيمٌ ومرجومٌ. والرَّجمُ: القتلُ، واللَّعنُ، والطَّردُ، والشَّتم، وقد قيل هذا كلُّه في قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]. وقولِ أبي إبراهيم: ﴿لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]. وسيأتي إن شاء الله تعالى.

روى الأعمشُ[٦]، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: رأيتُ النبيَّ ﷺ عند الصَّفا وهو مُقبِلٌ على شخص في صورة الفيل وهو يَلعَنُه، فقلتُ: ومَن هذا الذي تَلعَنُهُ يارسولَ الله؟ قال: «هذا الشيطانُ الرجيمُ» فقلتُ: واللهِ، يا عدوَّ الله، لأَقتُلَنَّكَ[٧]، ولأُرِيحَنَّ الأمَّةَ منك، قال: ما هذا جزائي منك. قلتُ: وما جزاؤك مني ياعدوَّ الله؟ قال: واللهِ ما أبغَضَكَ أحدٌ قطُّ إلا شَرِكتُ أباه في رَحِمِ أمِّهِ[٨].

---

(١) في (م): تَخضِبُ العير من مكنون.

(٢) العَير: حمار الوحش، والفائل؛ قال التبريزي في شرح القصائد العشر ص٣٤٨: هو عِرق يجري من الجوف إلى الفخذ، ومكنون الفائل: الدم.

(٣) ديوانه ص٤٤٥، وأورده ابن منظور في اللسان (شطن)، وهو في وصف سليمان بن داود عليهما السلام. قوله: عكاه، أي: شدَّه في الحديد.

(٤) من قوله: ويرد على هذه الفرقة أن سيبويه ... من تفسير ابن عطية ١/ ٥٩.

(٥) في (م): الحادية عشرة.

(٦) في (د) و(ظ): الثالثة عشرة روى الأعمش ... وهو مخالف لما صرح به من عدد المسائل أول الكلام.

(٧) في (م): ياعدو الله والله لأقتلنك.

(٨) خبر موضوع. وقد أخرجه وتكلم فيه الخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٢٨٩ و٢٩٠، والذهبي في ميزان الاعتدال ١/ ١٩٧، وفي إسناده إسحاق بن محمد النخعي الأحمر. قال الذهبي: كذَّاب مارقٌ، =